الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

نشأة اللغة من منظور عبد الصبور شاهين

"قراءة في كتاب أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات تطبيقية.

إعداد الطالبتين:
- كلثوم بلفة
- فاطمة جرادة
- نورة قريني

إشراف الأستاذ:
الخثير داودي

السنة الجامعية: **2016/2015**

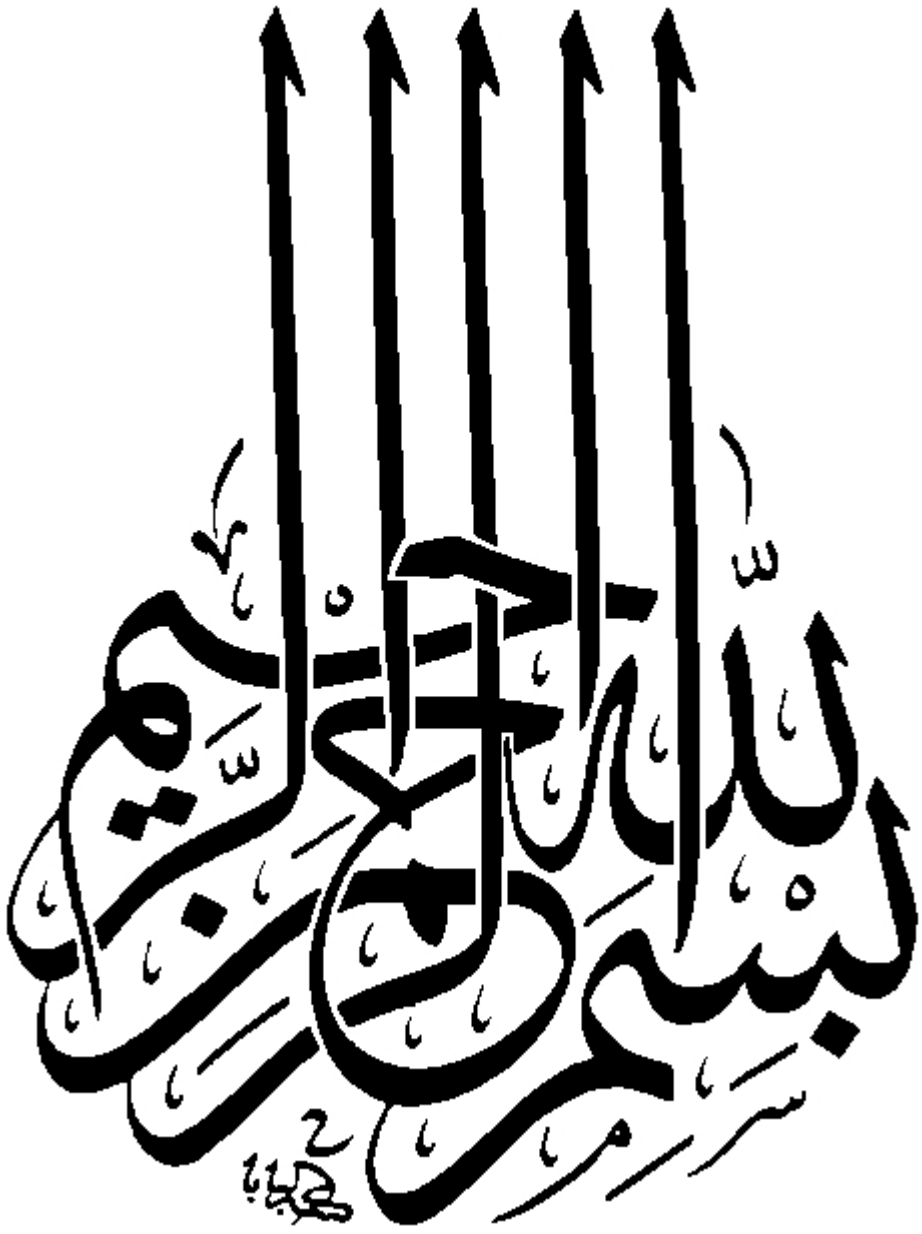
بسم الله الرحمن الرحيم

((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))

العلق 1-5

دعـــــــاء

اللهم من اعتز بك فلن يذل... ومن اهتدى بك فلن يضل... ومن استكثر بك فلن يقل... ومن استقوى بك فلن يضعف... ومن استغنى بك فلن يفتقر... ومن استنصر بك فلن يخذل... ومن استعان بك فلن يغلب... ومن توكل عليه فلن يخيب... ومن جعلك ملاذه فلن يضيع... ومن اعتصم بك فقد هدي إلى صراط مستقيم... اللهم فكن لنا وليا ونصيرا... وكن لنا معينا ومجيرا... إنك كنت بنا بصيرا.

آمين...

شكـر وتقـدير

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه فهو الأحق بالشكر والثناء على جزيل نعمه، ووقوفا عند قوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

نتقدم بشكرنا إلى كل من أمدنا بالأمل، ومهد لنا طريق العمل، ومن كان دوما السابق إلى النصيحة دون ملل، من علمنا أن العلم فوق الجميع، وأن التواضع تاج لا يلبسه إلا الرفيع، ويسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص الاحترام إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف "داودي الخثير" جزاه الله بكل خير.

وأيضا نتقدم بالشكر للأستاذ "بن سي مسعود سمير"الذي قدم لنا يد المساعدة وإلى كل من ساعدنا ولو بحرف واحد.

"شكـرا"

إهـــداء

باسم الله الرحمان الرحيم:

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»

صدق الله العظيم.

إلى أحلى كلمة نطق بها لساني، إلى قرة عيني وبهجة نفسي، إلى التي سهرت على تربيتي، وغمرتني بحنانها وعطفها، وظلت تدعو لي دوماً....

"أمـي الغـالية" حفظها الله.

إلى رمز الصمود، ومثلي الأعلى في الوجود، إلى من علمني أن النجاح يؤخذ بالصبر والكفاح....

"أبـي الغـالي" حفظه الله.

إلى لؤلؤة حياتي، أختي الغالية سارة عسى أن يتفقد الله روحها برحمته ويدخلها فسيح جناته.... آمين

إلى شمعات تضئن درب حياتي، أخواتي: بشرى، وخلود.

إلى نجوم حياتي، أخواتي الأعزاء: خالد وزياد.

إلى أصدقائي الأوفياء: خليدة، منيرة، أحمد، هالة ونادية ديدين

~فاطمة~

إهـداء

بسم الله الرحمان الرحيم

" ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي و على والدي و ان اعمل صالحا ترضاه"

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلّا بشكرك ولا يطيب النهار إلّا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بجنتك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك "الله جل جلاله" إلى من علّم و هو القدوة إلى هادي و مخلص الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى ملاكي في الحياة .....إلى معنى الحب و الحنان و التفاني .....إلى بسمة الحياة و سر وجودي إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

«أمي الغالية »

إلى من وهبني الحياة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى من تجرع مرارة الشقاوة ليذيقني حلاوة الكرامة «أبي العزيز»

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد....إلى شموع متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لهما إلى أنسي و فخري« إخوتي وأخواتي وكل من يحمل لقب قريني»

إلى زميلتاي اللتان شاركا في إعداد هذه المذكرة كلثوم وفاطمة

إلى الإخوة الذين لم تلدهم أمي إلى من إذا غابوا عن العين فالقلب

مأواهم إلى من تحلو الحياة بإخائهم وتسير بالوفاء والعطاء

إلى من رافقوني في دربي «أصدقائي و أحبائي »

نـــورة تهدي لكم هذا العمل.

إهـــداء

ملء الفؤاد أقول حمدا خالقي حمدا يترجم ما يبجش بخاطري

لولاه ما خط يميني صفحة وما مستوى قلمي و أرسل ناطقي

إلهي..لا طاب الليل إلا بمناجاتك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الدنيا

إلا بطاعتك ....ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك ...

يا رب كفاني عزا أن تكون لي ربا... وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا, أنت لي كما تريد فاجعلني كما تريد إلى خير البرية .....

إلى من شغف حبه قلبي، إلى نور الوجود شمس الضحى, إلى خير البرية

إلى هدية الرحمان محمد العدنان صلى الله عليه وسلم

إلى حبيبتي وحياتي ودنياي(أمي)

إلى من علمني أن الحياة موقف وكلمة حق تقال إلى الذي كرس حياته من أجل الحب و العطاء, إلى القلب الذي تحد من الدهر ليسعدنا (أبي الغالي)

إلى الشعلة المضيئة « بلال»

إلى حياتي وروحي« أيمن، هيثم»

إلى مستقلبي« أمين» إلى القلب الصافي «خير الدين » إلى رفاق الدرب في الحياة على السراء والضراء إخوتي وأخواتي وزوجات إخوتي و زوجات أخواتي, أبناء إخوتي وأبناء أخواتي من كبيرهم حتى صغيرهم إلى أستادي الفاضل والذي افتخر أنني درست عنده «عزون سمير»

إلى كل من عرفني وأحبني وإلى كل الزميلات وزملاء الدراسة من الطور الابتدائي إلى الجامعي

إلى الأخوات التي لم تلدهم أمي وكن لي خيرأخوات نورة, فاطمة, منيرة لبنى,حنان, حفيظة , حسينة , وقد تكن خير رفيق لي ومؤسس في صحراء وحدني ,صدى أصواتكن أسمعه حتى عندما تغبن و أراكن معي وحولي وفي قلبي و في كياني

إلى كل عزيز على قلبي وقريب إلى روحي و إلى كل من حضر في قلبي ونسيه قلمي.

مقـــــــــدمة

مقدمـــة:

يعد المجتمع فضاء واسعا لمختلف النظم والأنساق الاجتماعية التي تؤدي وظائف عديدة ومتنوعة على توجيه الأفراد وتحقيق التفاعل الاجتماعي فيما بينهم داخل المجتمع الواحد، ودمجهم إلى نسق اجتماعي موحد بغية تحقيق التكامل والاندماج في الوسط الاجتماعي الذي يسمح للفرد بأن يمارس فيه كل علاقاته وتفاعلاته، واكتساب مكانته والتكيف مع الوسط الذي يعيش فيه، وذلك مع مختلف المواقف والاتجاهات والأفكار عبر مراحل حياته المختلفة إذ أن المجتمع يحدد للفرد معايير وضوابط وثقافات معينة يتخذها الفرد خطا يسير عليها من أجل التكيف والاندماج داخل هذا المجتمع، وبذلك المساهمة في بناء مختلف أنساقه ونظمه وكل هذا لا يكون إلا باللغة، فاللغة آية من آيات الله سبحانه وتعالى، ومعجزة من معجزاته التي تدل على قدرته سبحانه وتعالى ودليل في هذا قوله في سورة الروم: « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ».

وهذا بالإضافة إلى أن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم كانت كلمة.

ونظرا لأهمية اللغة في حياة الإنسان جعلنا نتناول هذا الموضوع المعنون بـ«نشأة اللغة من منظور "عبد الصبور شاهين"، قراءة في كتاب "**أبي آدم**": قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة».

وهناك أسباب كامنة وراء هذه الدراسة منها أسباب ذاتية وأسباب موضوعية.

من الأسباب الذاتية:

1- الحصول على شهادة ليسانس.

2- محاولة إثبات قدراتنا كباحثين في دراسة مثل هذه المواضيع.

3- الوعي والشعور بأهمية الإشارة إلى اللغة باعتبارها إحدى آيات الله سبحانه وتعالى.

الأسباب الموضوعية:

1- كونه يعالج أحد أكثر القضايا عمقا في تاريخ الإنسان.

2- باعتباره يعالج لنا قضية تخدم التخصص.

إشكالية البحث:

إن اللغة جزء من الإنسان، إذ لا يمكن أن يندمج في المجتمع دون لغة فهي أساس العلاقات بين الأفراد فهي أداته للتواصل والتبليغ عن أفكاره وأحاسيسه.

وكل هذا يدفعنا للتساؤلعن ماهية اللغة؟ وكيف نشأت هذه اللغة؟ وماهي أراء العلماء في نشأتها؟ وماهو رأي الدكتور "عبد الصبور شاهين" حول موضوع النشأة؟ ماهو رأي العلماء في كتاب أبي آدم؟

الفرضيات: وللإجابة عن هذه الإشكاليات وضعنا الفرضيات التالية:

- هل اللغة نشأت توقيفا أو اصطلاحا أم تقليدا للأصوات؟

- ألم يحن الوقت ليجمع كل العلماء على مذهب واحد في نشأة اللغة؟

– أليس من الضروري الوقوف على أهم النقاط التي أشار إليها الدكتور "عبد الصبور شاهين" في كتابه "**أبي آدم**"، وإعطائه حقه ومستحقه؟ وقد اتبعنا في موضوعنا هذا المنهج الوصفى التحليلي.

بنية البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة اقتضى منا على أن يكون البحث فيه مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة: وهي التي نتحدث فيها الآن فأودعناها الكلام على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته ثم طرحنا إشكاليته ووضعنا فرضياته، كما حددنا المنهج المتبع في دراستنا وذكرنا بنية البحث وأنهيناها بخاتمة.

أما المدخل: ونظرا لما رأيناه استوجب علينا التعريف "بعبد الصبور شاهين" وذكر أهم مؤلفاته كما قمنا بإعداد بطاقة فنية حول كتابه الشهير: "أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة".

أما الفصل الأول: والمعنون بـ:« مفهوم اللغة بين علماء العرب واللسانيين المحدثين الغربيين » فتحدثنا فيه عن مفهوم اللغة بصفة عامة ومفهومها عند كل من "ابن جني" و"تمام حسان" وعند "سوسير"و"تشومسكي".

والفصل الثاني: الذي كان عنوانه:«مفهوم نشأة اللغة بين "عبد الصبور شاهين" وبعض اللسانيين الآخرين». فتكلمنا فيه عن نشأة اللغة عند عبد الصبور شاهين ونظريات نشأة اللغة وخصصنا بالذكر النظرية التوقيفية، ونظرية الاصطلاح والتواضع ونظرية تقليد ومحاكاة الأصوات.

أما الفصل الثالث: مكان تحت عنوان:«القيمة العلمية لكتاب (أبي آدم)».فذكرنا فيه آراء العلماء في الكتاب ونوعية المدونة، كما تم ذكر أهم القضايا التي أعجبتنا في الكتاب.

وختمنا هذا البحث بخاتمة أودعنا فيها ذكر أهم ما حصدناه في الفصول الثلاثة.

الدراسات السابقة:

في الواقع أن البحث في اللغة ونشأتها كان منذ القديم في عصور ضاربة جذورها في التاريخ الإنساني، أما نشأة اللغة من منظور "عبد الصبور شاهين" نصدق القول أنه لا علم لنا بالدراسات السابقة، وإذا ما أجريت دراسة عنه أم لا.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المعنون نشأة اللغة من منظور عبد الصبور شاهين قراءة في كتاب أبي آدم، قصة الخليقة بين الأسطورةوالحقيقة على مجموعة من المراجع التي تمكنا بفضلها من إعداده.

ولا يسعنا في ختام هذه المقدمة إلا أن نسجل عظيم الشكر للأستاذ المشرف "**داودي الخثير**" على ما قدمه لنا من حسن التوجيه ففضله علينا كبير، كما نتقدم بالشكر إلى كل من أمد لنا يد العون في إعداد هذه المذكرة.

أسماء الطالبات:

- **كلثوم بلفة.**
- **جرادة فاطمة.**
- **قريني نورة.**

ميلة: يوم: 2016/05/07

المدخل

السيرة الذاتية والعلمية لعبد الصبور شاهين

بطاقة فنية حول كتاب "أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة"

مـدخـــل:

أولا: السيرة الذاتية والعلمية لعبد الصبور شاهين.

1- حياته:

الأستاذ "عبد الصبور شاهين" من مواليد 18 مارس 1929م وهو مفكر إسلامي مصري، ومن أشهر الدعاة الإسلاميين في مصر والعالم الإسلامي، كان ينتمي إلى أسرة العلم بمفهومه الديني، فوالده الشيخ "موسى موسى علي شاهين" قد تخرج من الأزهر وجده الأكبر "شاهين بك" زعيم المماليك إبان حكم محمد علي باشا، عمل أستاذا بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن فترة من الزمن، كان رجل تراثي وكان مخزنا للحكمة العربية التي غذته من أعرق معاهد العلم الإسلامية ممثلة في الأزهر الشريف، ثم ما نمى هذه التغذية بما امتد إليها وآزرها بما حصله من أعرق معاهد العلم بالعربية في العالم العربي المعاصر متمثلا في كلية دار العلوم التي تخرج منها سنة 1956م في دفعة برز من أبنائها فيما بعد العلامة اللغوي الراحل رمضان عبد التواب رحمه الله (2001م) والعلامة الأصولي الراحل عبد العظيم الديب رحمه الله (2010م)، ثم واصل تلمذته على يد أكبر رواد الدرس اللغوي في العصر الحديث وهو العلامة الرائد "إبراهيم أنيس"، ثم كان الرافد الثالث ممثلا في الثقافة الفرنسية التي حصلها وأبدع فيما نقله عنها من غير وفادته إلى هذا البلد، بل باجتهاد شخصي يظهر مدى العزيمة التي لا تعرف الضعف، ويضاف إلى هذه الروافد التي غذت تكوينه فاستحصد وقوي واشتد عودا رافدا آخر مهم جدا تمثل في صحبته للأعلام المفكرين الذين عاصرهم في الفترة الممتدة من عمر القرن الميلادي المنصرم ولا سيما صحبته لمالك بن نبي رحمه الله سنة (1973م)، المفكر الجزائري الإصلاحي العملاق، ومحمود محمد شاكر علامة العصر في غير ما ميدان بلا منازع رحمه الله (1996م) والدكتور محمود قاسم ومحمد فؤاد وعبد الباقي رحمهما الله تعالى، وهي أسماء تدل على عظم ما يمكن أن يكون تسرب إلى نفس الدكتور عبد الصبور وعقله.

ومن هذه الصحبة التي أثمرت في غير ما مجال من مجالات الارتقاء والسمو والرقي».[1]

2/ مؤلفاته:

لقد تعددت المؤلفات والتراجم، وقد تجلت ثمراته فيما يلي:

« له 65 كتاب ما بين مؤلفات وتراجم، أكبرها مفصل لآيات القرآن الكريم في عشرة مجلدات، وأحدثها مجموعة نساء وراء الأحداث في عشر كتب ويبقى مؤلفه الأشهر (أبي آدم) والذي أثار ضجة كبيرة ولا زال، وقد كان أول من اشترك مع زوجته في التأليف إذ أخرجا معا موسوعة (أمهات المؤمنين) و (صحابيات حول الرسول) في مجلدين.

وينسب له توليده وتعريبه لمصطلح حاسوب وهو المقابل العربي لكلمة كمبيوتر، والذي أقر من قبل مجمع اللغة العربية، ولكن أهم سمة في الحقيقة لعبد الصبور شاهين في الثقافة المعاصرة تتمثل فيما نقله من عيون أدبيات الفترة الإسلامية التي كتبها مفكرون إسلاميون معاصرون بالفرنسية لاعتبارات مختلفة، وكان عبد الصبور باعتباره الرافد الأجنبي الذي امتلك ناصية اللسان الفرنسي منتجا ومؤثرا بما ترجمه عن هذه اللغات التي تعلمها، وتوزع إنتاجه في ميدان الترجمة عن الفرنسية على ميدانين هما: ميدان التخصص في علم اللغة، وميدان الفكرة الإسلامية التي وهبها عمره.

ولعل ما تركه في هذا المجال العلمي يكمن فيما يلي:

1- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث 1966.
2- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو العمر بن العلاء 1987م.
3- عربية القرآن 1997م.

(1)الموسوعة التاريخية w.w.w./khubniwiki.com.index يوم 08 فبراير 2016 على الساعة 21:18

4- في علم اللغة العام 1990م.

5- في التطور اللغوي 1991م.

6- العربية لغة العلوم والتقنية 1982م.

7- دراسات لغوية 1976م.

8- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة للصرف العربي 1977م.

***أشهر الترجمات:**

هي أهم ما نقله من عيون أدبيات الفترة الإسلامية التي كتبها مفكرون إسلاميون معاصرون بالفرنسية لاعتبارات مختلفة:

1- دستور الأخلاق في القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز سنة 1937م.

2- الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي 1958م.

3- وجهة العالم الإسلامي 1981م.

4- فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ 1957م.

5- مشكلة الثقافة 1959م.

6- ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، الطبعة الأولى بلا تاريخ، والثانية 1962م والثالثة 1986م.

ومما ترجمه في حقل التخصص :

1- العربية الفصحى: دراسة في البناء اللغوي سنة 1966م لهنري فليشاليسوعي، ولك أن تعلم عندما ترجمه لم يزل بعد معيدا في دار العلوم على ما يقر هو في مقدمة

الطبعة[1]الرابعة للكتاب ص05: 1997م حيث يقول:« لقد كنت حين ترجمت هذا الكتاب في أوائل الستينيات ما أزال معيدا بكلية دار العلوم...».

2- علم الأصوات: ليرتيل لمبرج 1984م، ولعله من عرف الأوساط الدراسية اللغوية في العالم العربي بهذا اللسان السويدي المعاصر.[1]

3/ من أقواله:

«ما يشهده عدد من البلدان الأوروبية من محاولات للتضييق على المسلمين ومنع المسلمات من ارتداء الحجاب، يكشف إفلاس العلمانية كمذهب تطبقه البلدان الأوروبية، وتسعى للترويج له داخل العالم الإسلامي، ويظهر الوجه العنصري لتلك العلمانية للدين خاصة في فرنسا، ومن المؤكد أن الصهيونية هي الجهة التي تقف وراء تغذية هذا العداء بما تملكه من أدوات تأثير على صانعي القرار والرأي العام الأوروبي، وأهم هذه الأدوات الإعلام والمال، والعلمانية هي إلحاد في جوهرها ومبدؤها الأول أنه لا حاجة للعالم إلى إله، إنما العالم يدبر نفسه بنفسه، هذا المبدأ العلماني هو الذي يدير كل العلمانيين».[2]

4/ وفاته:

«توفي مساء يوم الأحد 17 شوال 1431هـ / 26 سبتمبر 2010م عن عمر يناهز 82 عاما، وصلي عليه ظهر يوم الاثنين 18 شوال 1431هـ/ 27 سبتمبر 2010م، من مسجد عمر بن العاص، والذي كان خطيبا سابقا فيه، وقد أدى أكثر من 2000 شخص من محبيه الجنازة عليه في القاهرة، كما شارك في تشييع جنازته تلاميذه اللذين اعتادوا حضوره خطبة

(1) ويكبيديا، الاخوان المسلمون، المسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين يوم 08 فبراير 2016 على الساعة 22:05.

(1) ويكبيديا، الاخوان المسلمون، المسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين.

(2)الموسوعة التاريخية w.w.w./khubniwiki.com.index يوم 08 فبراير 2016 على الساعة 21:30

أيام الجمع، كما شارك معهم فضيلة الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام السابق للإخوان المسلمين، والدكتور رشاد اليومي، والدكتور محمود عزت نائبي المرشد العام، والدكتور محمود غزلان عضو مكتب الإرشاد والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح الأمين العام لاتحاد الأطباء العرب، والنائب الدكتور محمد البلتاجي الأمين العام المساعد للكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين بمجلس الشعب....

بينما غاب عن الحضور ممثلو المؤسسة الدينية سواء من الأزهر الشريف دار الإفتاء، كما غاب التمثيل الرسمي لمؤسسة الدولة الدينية أو أي من أجهزتها التنفيذية.[1]

(1)ويكبيديا، الاخوان المسلمون:wiki<.www/wikipedia.orgالموسوعة الحرة، ليوم 22 مارس 2016 على الساعة 11:48

ثانيا: بطاقة فنية حول كتاب أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة للدكتور عبد الصبور شاهين:

لقد تنوعت مؤلفات الدكتور عبد الصبور شاهين واختلفت ومن بين هذه المؤلفات كتاب أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، فهو كتاب مبني على عدة معتقدات صدر أواخر التسعينات، تم نشره من قبل دار الاعتصام في 14 رمضان 1418هـ الموافق لـ: 02 يناير 1998م ثم أعيد طباعته بواسطة دار أخبار اليوم: قطاع الثقافة جمهورية مصر العربية 06 شارع الصحافة القاهرة رقم الإيداع 2201/18333 والترقيم الدولي 2-1031-08-977 في 06 أكتوبر، استدعى مقدمتين مقدمة الطبعة الأولى ومقدمة الطبعة الثانية، يتألف الكتاب من بابين الباب الأول تحت عنوان القصة بين العقل والنقل ويضم تسعة فصول، أما الباب الثاني تحت عنوان وقائع القصة ويضم 06 فصول كما يضم الكتاب خاتمة، تأملات في المسألة الخلقية مع فهرس الموضوعات.

إن هذا الكتاب أثار ضجة كبيرة في العالم الإسلامي بسبب الفكرة التي يحملها الكتاب فالمؤلف عبد الصبور شاهين يرى أن آدم عليه السلام هو أبو الإنسان ليس أبو البشر الذين هم في نظره خلق حيواني كانوا قبل أن يخلق سيدنا آدم وعندما خلق آدم اصطفاه الله من بينهم ليكون أبا الإنسان المتصف بالإنسانية، وهو ما أشار الله إليه في القرآن بالنفخ في الروح، وبعد خلق آدم أباد الله الجنس البشري فلم يبقى منهم إلا آدم فعدله الله وسواه كما ينص القرآن في قوله تعالى« الذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ». [2]

(1)سورة الانفطار، الآية :07.

ويستدل الشيخ عبد الصبور بآيات كثيرة على وجود البشر قبل الإنسان لكنهم كانوا خلقا غير معدلين بروح الله وهو السبب الذي دعا الملائكة عندما أخبرهم الله أنه سيخلق آدم لأن يقولوا: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ»[1]، ففي نظره أن هذه الآية تدل على أن البشر كانوا موجودين قبل خلق آدم، كما يرى شاهين أن هذا كله كان قبل أن يصطفي الله آدم ويعدّله ويسويه بأن ينفخ فيه من روحه فيصبح عاقلا ومتحضرا، قال الله تعالى في كتابه الكريم في سورة "ص": «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»[2] وخلاصة هذا القول أن هذا الكتاب أن آدم ولد من أب وأم بشريين فتطور هو من بعدها ليصبح أب للإنسان المتميز بالعقل والمقيد بالشرائع والمتصف بصفة الإنسانية.[3]

***ملخص يضمن أهم النقاط الواردة في الكتاب:**

– يبين الدكتور عبد الصبور أن ما دعاه إلى تأليفهدا الكتاب الذي استغرق تأليفه 25 عاما بقوله: "أن وجد" «.... نظرة القدماء إلى قصة الخلق قد تأثرت بالتصور الإسرائيلي لها، وهو الوارد في سفر التكوين، حيث يختزل الزمان كله إلى أقل من ثلاثة آلاف سنة تستغرق عشرين جيلا هم المسافة بين آدم وإبراهيم»[4]، لذلك فإن هدفه هو "انتزاع العقل المسلم من براثن الأقوال الإسرائيلية المحشوة بالخرافات المنافية لكل ما هو عقل وعلم ونور".[5]

(1)سورة البقرة، الآية: 29.

(2) سورة ص، الآية: 71.

(3)ويكبيديا المسوعة الحرة:<wiki>.www/wikiedia.org.

(4)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، جمهورية مصر العربية، 1998، د.ط، ص ص: 21، 22.

(5)المرجع نفسه، ص: 17.

– يرى أن نظرية داروين قد صارت لكثرة ما تعرضت له من نقد مجرد مقولة هشة لا تعني شيئا في مجال البحث عن أصل الإنسان وحتى وإن قدمت الكثير في مجال (البيولوجيا) أو علم الأحياء.

– يقول أن الأساطير الإسرائيلية تحاول زعزعة يقيننا بأنفسنا فقد ابتلى العقل المسلم المعاصر من قبل مدرستين لهما وجود على الساحة ولهما ضجيج مزعج، "أما أولاهما فهي المدرسة الخرافية التي تتبنى الحكايات والإسرائيليات، أما الثانية فهي المدرسة الحرفية والتيتتشبت بالمأثور حتى ولو كان خرافيا وهي المدرسة التي ترفع السيف في وجه أي اجتهاد بدعوى الخروج على قواعد اللعبة السلفية، والسلفية جزء من كل أشكال الأساطير والخرافات ولا مناص –إذا أردنا للإسلام أن بتبوأ مكانه في عالم الغد– أن يتم القضاء على هاتين المدرستين".[1]

– ويقول: إن أو كائن إنسي له المميزات التشريحية للإنسان المعاصر، وله صفاته من ذكاء والقدرة على التعبير عن نفسه هو (إنسان كرومانيون) والذي وجدت بقاياه في جنوب فرنسا في كهوف تركت آثاره على جدرانها رسوم لبعض الحيوانات التي اصطادها، ويتضح منها أن هذا المخلوق تمتع بقدر من الذكاء يربطه بالإنسان الحالي وأقدم بقايا لإنسان كرومانيون ترجع إلى حوالي ثلاثين إلى خمسة وثلاثين ألف سنة مضت، وهذه الفترة تعتير من أقدم فترات التاريخ المسجل[2].

– «خلق الإنسان (بدأ من طين) أي عند بداية البشرية، ثم استخرج الله منه سلالة «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ»[3] ثم كانت التسوية ونفخ الروح فكان الإنسان هو الثمرة في نهاية المطاف... عبر تلكم الأطوار التاريخية الساحقة العتيقة».[4]

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ، ص: 23.

(2)المرجع نفسه، ص: 36. .

(3)سورة السجدة، الآية: 07.

– وازن بين مصطلحي إنسان وبشر فقال: «حقيقة لا ريب فيها هي أن بني البشر والإنسان عموما وخصوصا مطلق (فالبشر) لفظ عام في كل مخلوق ظهر على سطح الأرض يسير على قدمين منتصب القامة (والإنسان) لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلف بمعرفة الله وعبادته، فكل إنسان بشر وليس كل بشر إنسان»[1]

– «أما (الإنسان) فلا يطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه السلام وآدم على هذا النحو – هو (أبو الإنسان) وليس (أبو البشر) ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله، تمهيد الظهور ذلك النسل الآدمي الجديد»[2].

– يرى أن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هائلة، هي (الخلق والتسوية، والنفخ) ومنه فقال: «ومن السذاجة أن تفسر هذا النفخ بأنه بث الروح في الجسد، فقد حدث ذلك في مرحلة (الخلق) الأولى، التي أحالت التراب أو الطين إلى مخلوق ظاهر (البشر) يتحرك على الأرض بالروح الحيواني، كما تتحرك سائر الكائنات من حشر وطير وحيوان، ثم تناولت القدرة ذلك المخلوق في المرحلة الثانية (بالتسوية) أما ما يمكن تشبيهه بهندسة البناء وتجميله، وهي مرحلة التعديل المادي أو الظاهري، وقد استغرقت ملايين السنين والله أعلم بتفاصيلها، ثم جاءت المرحلة الثالثة للهندسة الداخلية، وهي المتمثلة في تزويد المخلوق السوي بالملكات والقدرات العليا التي جوهرها (العقل) والحياة الاجتماعية ثمرة العقل واللغة وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع من العقلاء، وبذلك اكتمال بناء (الإنسان)، فكان (آدم) هو أول (إنسان)، وطليعة سلالة التكليف بتوحيد الله وعبادته».[3]

---

(4)عبد الصبور شاهين: المرجع نفسه، ص: 96.

(1) عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ، ص: 103.

(2) المرجع نفسه، ص: 104. .

(3) المرجع نفسه، ص: 110. .

– من الأدلة التي جاء بها ليؤكد أسبقية البشر للإنسان قوله: «ومن المعاني الغيبية المجردة ذات الدلالة العميقة على مذهبها هذا ما جرى على لسان إبليس وهو يغري آدم وزوجته بالأكل من الشجرة المحرمة، قال: «و قال مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنتَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينْ»[1] فمتى عرف آدم وزوجته معنى الخلود؟ وكيف لهما أن يتخيلاه، وهو معنى مرتبط بواقع لم يحدث من قبل على فرض أنهما أول المخلوقات البشرية؟ ونعني به واقع (الموت) وهو ضد الخلود؟ إن ذلك يؤكد أنهما عاينا أجيالا سابقة حصدها الموت، وابتلعها الفناء، ولعل الخلود أو البقاء كان حلما يراودهما، فجاءهما الشيطان من هذا الباب وقد عرف حلمهما أو نقطة ضعفهما».[2]

– ومن بين أهم القضايا الموجودة في الكتاب قضية ظهور زوج آدم، لم يرد ذكرها قبل ذلك، وهو ما يعني أن آدم كان متزوجا قبل الاستخلاف والاصطفاء، وذلك ما يدل عليه سياق القصة، يقول الشيخ رشيد رضا «والآية تدل على أن آدم كان له زوج... أي امرأة، وليس في القرآن مثل ما في التوراة من أن الله تعالى ألقى على آدم سبات انتزع في أثناءه ضلعا من أضلاعه وخلق منه حواء امرأته، وأنها سميت امرأة (لأنها من امرئ أخذت)، وما روي في هذا المعنى مأخوذ من الإسرائيليات وحديث أبي هريرة في الصحيحين (فإن المرأة خلقت من ضلع.....».[3]

وهكذا كان من أهم القضايا التي عالجها الدكتور عبد الصبور في كتابه أبي آدم، وهذه القضية كما ذكرنا أثير حولها جدل كبير.

(1) سورة الأعراف، الآية: 20.

(2) عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ، ص: 133. .

(3) المرجع نفسه، ص: 167. .

الفصل الأول
مفهوم اللغة بين علماء العرب واللسانيين المحدثين الغربيين

- أولا: مفهوم اللغة لغة واصطلاحا
- ثانيا: مفهوم اللغة عند أبو الفتح عثمان بن جني.(ت: 392هـ)
- ثالثا: مفهوم اللغة عند تمام حسان.
- رابعا/ مفهوم اللغة عند دوسوسيرفرديناند.
- خامسا: مفهوم اللغة عند تشومسكيناعوم.(1928 م)

أولا: مفهوم اللغة بين علماء العرب واللسانيين المحدثين الغربيين:

إن الحديث عن اللغة بدأ في عصور ضاربة جذورها في التاريخ، إذ أنها تعتبر من الظواهر التي حضيت بعناية الباحثين و المفكرين و الفلاسفة مند أقدم العصور فكان هناك البحث عن نشأتها و وضيفتها، و قد اختلف العلماء في تعريف اللغة ومفهومها، وليس هناك اتفاق شامل على مفهوم محدد للغة فقد تضاربت الآراء واختلفت وكل عرفّها حسب نظره إلا أنهم أقروا أنها وسيلة يتم بها التخاطب والتواصل وقضاء الحاجات، وعلى هذا نتطرق إلى السؤال التالي: ما مفهوم اللغة؟ وما هو مفهومها عند كل من اللغويين العربيين ابن جني وتمام حسان والغربيين فرديناند دوسوسير وناعوم تشومسكي؟

* مفهوم اللغة:

* **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور« اللسن.... وأصلها لغوة على وزن فعلة من لغا إذا تكلم، ولغوت إذا تكلمت، والجمع: لغات ولغون والنسبة لغوي فهي الكلام المصطلح عليه بين القوم وهي مشتقة من الفعل لغا يلغو لغا بكذاَ، أي تكلم بكذا».[1]

– وهناك من يرى أن كلمة لغة «قد تكون مأخوذة من لوغست اليونانية ومعناها: كلمة قال الليث: اللغة واللغات واللغتين: استلاف الكلام في معنى واحد ويقال لغا يلغو لغوا بكذا، أي تكلم بكذا.

وهناك من يرى أن كلمة لغة «قد تكون مأخوذة من لوغست اليونانية ومعناها: كلمة».[2]

(1) ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط5، 2005م، المجلد 13، مادة لغا ص: 213.

(2) إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ج2، ط4، 2004م ص: 831.

– قال الليث: اللغة واللغات واللغتين: استلاف الكلام في معنى واحد ويقال: لغا يلغو لغوا وهو اختلاط الكلام، ولغا يلغي: لغة وفي الحديث: «من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه: صه، فقد لغا، أي تكلم .... قال ابن السكيت: لغوى الطير أصواته..... وقال الأصمعي: ذلك لغو لغا ولغوة وهو الشيء الذي لا يعتد به.[1]

*** اصطلاحا:**

على الرغم من صعوبة وضع تعريف جامع للغة واختلاف علماء اللغة في ذلك فإن أدق ما وضع لها هو التعريف الذي وضعه هجمان [Higmen] في كتابه: اللغة والحياة الطبيعة البشرية حسب رأي أنسي محمد أحمد قاسم الذي يقول فيه: «اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما».[2]

– وبهذا تكون نظام من الرموز الصوتية المتفق عليها سواء كانت منطوقة أو مكتوبة يحكمها نظام معين ولها دلالات محددة يتعارف عليها أفراد ذو ثقافة معينة ويستخدمونها للتعبير عن حاجاتهم وحاجات المجتمع الذي يعيشون فيه ويحققون بها الاتصال بينهم.

ثانيا: مفهوم اللغة عند ابن جني: (392هـ) إن اللغة كانت قبل ابن جني تطلق على اللهجة فيقال لغة طي ولغة هديل.... لكن ابن جني إستعمل كلمة لغة بالمعنى الذي تذل عليه كلمة لسان فقد عرفها في كتابه الخصائص بقوله: « أما حدها أصوات يعبر عنها كل قوم عن أغراضهم ».[3]

(1) أبو منصور ابن الأزهري: –تهذيب اللغة– تحقيق أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1، 2004م، ج6، ص ص: 391، 393.

(2) أنسي محمد أحمد قاسم: مقدمة في سكولوجيا اللغة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2000م، ص: 16.

(3) أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج1، 2010م، ص: 33.

ويشمل هذا التعريف على أربعة جوانب:

1- أن اللغة أصوات.

2-أنها تعبير.

3- أنها تعبير يعبر عنها كل قوم أنها تصدر عن قوم -أي الناس-.

4-أنها تعبير عن حاجات الناس (أغراضهم) وهذا تعبير عن اجتماعية اللغة.

وهذا يبلغ قمة البحث اللغوي عند إبن جني حين يربط اللغة بالوظيفة كونها تتحدد من خلال بعدها الوظيفي بين الأفراد المتكلمين على السواء من خلال تبادل الأغراض والحاجات بواسطة اللغة.

فاللغة إذا أداة للتعبير عن الشعور والنفس كما أنها أداة للتواصل بين بني البشر لقضاء الأغراض.

ثالثا: مفهوم اللغة عند تمام حسان: عند تمام حسان «الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة».[1]

أما تعريف اللغة عنده فهو:« اللغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة (قد سميناها من قبل بالأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من «المعاني» تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو «المباني» المعبرة عن هذه المعاني ثم من طائفة «العلاقات» التي تربط ربطا ايجابيا و الفروق «القيم الخلافية التي تربط سلبيا -لإيجاد المقابلات ذات الفائدة- بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني».[2]

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م، ص:33.

(2) المرجع نفسه، ص:34.

ومن هذا نخلص إلى أن اللغة نظام يمتلك سياقا اجتماعيا، ثقافيا له دلالته ورموزه وهو قابل للنمو والتطور، يخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضارية التي مر بها المجتمع فاللغة إذن رهينة الظروف المحيطة بها.

رابعا: مفهوم اللغة عند سوسير فرديناند:

يرى دي سوسير أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاث مصطلحات أساسية اللسان واللغة والكلام، واللغة في نظره واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس. واللغة عنده: «هي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين ونلاحظ أن دي سوسير يشبه اللغة بالقاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطيق الفرد الواحد أن يختزنها في دماغه وذلك بقوله: «إن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد... وهي لا تتأثر بإرادة المودعين، ويمكن صياغة نمط وجودها بهذا الشكل 1+1+1+1 ....= 1 (نموذج جمعي)».[1]

إن اللغة إذن كنز اجتماعي من الوحدات والقوانين يمثل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه وأنها مستودع من العلامات والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين إذ تضم جانبين أساسين هما الدال الذي يمثل الصورة السمعية التي تدل على شيء ما أو تعني شيئا ما، أما المدلول الذي يكون التصور أو الشيء المعني.

(1) الأستاذ، أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، جامعة قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، الطبعة الرابعة، 2008م، ص: 123.

خامسا: مفهوم اللغة عند تشومسكي ناعوم:

عرّف تشومسكي اللغة في كتابة «البنى التركيبية» قائلا: «من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل كل جملة طولها محدود مؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، كل اللغات الطبيعية في هيكلها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى».[1]

وفي نظر تشومسكي إن الجمل قد يكون طولها غير محدود ومع ذلك فهي جمل نحوية مقبولة وقد أتى بمثال واضح كما هو الشأن في هذه الجملة « هذا هو الرجل الذي تزوج البنت التي ألفت الكتاب....» وتدل النقاط الثلاث على إمكانية توسيع الجملة إلى الطول المرغوب فيه من الناحية العلمية، هناك بعض الحدود التي ينبغي أن تقف عندها الجملة، وإن كانت غير مضبوطة من قبل النحاة ومن جهة أخرى فإن هذه الجمل التي تتكون من عناصر محدودة هي في الواقع غير متناهية، وتعكس بصورة واضحة الجانب الإبداعي أو الخلاق في اللغة،[2] ويتبين من خلال تعريف تشومسكي للغة بأنها كفاية أو طاقة إنسانية قوية، إنتاجية توليدية، وأبرز سمة في اللغة من خلال تعريفه هي الإنتاجية التي بمقتضاها يستطيع المتكلم أن يؤلف ويفهم جملا جديدة غير متناهية حتى وإن لم يسبق له أن سمعها.

(1) الأستاذ، أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص: 209

(2) المرجع نفسه، ص: 209.

خلاصة:

ومن ذلك ماهية اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية، وغرارا على ما سبق، فإن اللغة هي الوسيلة للتواصل والتعبير، يختلف تعريفها من عالم للآخر، كل بحسب تخصصه واتجاهه وفق ما تؤديه اللغة من وظائف وأدوار في أطر مختلفة وعبر أزمنة متعاقبة، ولكن مهما يكن من اختلاف من حيث ماهيتها فإن أتفاق العلماء حول اختصاص اللغة من حيث الوظيفة يتضح في أنها أداة للتواصل والتبليغ والتعبير عن الأفكار والمشاعر والميول والرغبات.

ويتجلى هذا المفهوم بصفة عامة في تعريف العالم الأمريكي ادوارد سابير إذ يقول: «اللغة نظام من الرموز غير غريزية لتبليغ الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز مستخدمة في طريقة إرادية».[1]

(1) الأستاذ، أحمد مؤمن اللسانيات والنشأة دار العلم بيروت، ، د.ت، ص: 06.

الفصل الثـــاني

نشأة اللغة بين عبد الصبور شاهين وبعض اللغويين الآخرين

- أولا: مفهوم اللغة ونشأتها عند عبد الصبور شاهين.
- ثانيا: نظريات نشأة اللغة:

أ_ نظرية التوقيف.

ب_ نظرية الإصلاح و التواضع.

ج_ نظرية محاكاة الأصوات.

أولا: مفهوم نشأة اللغة عند عبد الصبور شاهين:

إن اللغة في حقيقتها هي حركة المجتمع، وهي حركة مقيسة بمعايير زمانية ومكانية، كما تقوم على تفاعل العناصر اللغوية في ذاتها.

واللغة عنده نشاط إنساني يعيش في الماضي البعيد والقريب، كما يتبدى في مرآة المستقبل المنظور، وربما غير المنظور، فإذا كانت حياة الأقدمين قد انتهت بانتهاء أجلهم، فإن أثارهم المكتوبة مازالت تطالعنا بأنفسهم وبنبضات قلوبهم ملفوقة في كلمات اللغة.[1]

هي كلمات تحمل من هدوء تفكيرهم، أو ثورة عقولهم أو انفعال عواطفهم ما لا يمكن أن يغيره الغناء، بل ما نشهد تأثيره في مجريات الأحداث الراهنة والمقبلة على سواء.

إذا فغاية ما يمكن قوله عن سيرة اللغة ما بين جيل وجيل عند عبد الصبور شاهين هو أن القديم قد لبس ثوبا جديدا، لكن هذا الثوب الجديد سرعان ما يصبح خلقا أيضا، فلا يبقى منه إلا ما يصلح رفعا للثوب الذي يليه عندما يخلق أما حقيقة اللغة عنده فهي ذلك العطاء الذي تمد للحياة النابع من كفاح الإنسان فيها قبل التاريخ، فهو عطاء متنوع، لا حدود له وإن كان له حدود وإن كان محدود الأدوات والأصوات والرموز، وصادر أيضا من كيان محدود الأبعاد.

وهو يرجع نشأة اللغة إلى الله سبحانه وتعالى بقوله: «متى كانت هذه اللغة كظاهرة إنسانية؟ علم ذلك عند الله وحده. فمتى كانت هذه اللغة العربية علم ذلك أيضا عند الله تعالى، ولكن الله سبحانه لم يصدر حريتنا في أن يحاول معرفة أي شيء يمكن أن تبلغه قدرتنا، بالقطع أو بالحدس والتخمين، المهم أن نحاول دون توقف ففي المحاولة استخدام

(1) عبد الصبور شاهين، التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة بيروت شارع سوريا، بناية صمدي وصالحة، ط2، 1405-1958، ص: 5.

للعقل وهو هبة الله لنا، وفي المحاولة احتمال انكشاف بعض السر، أو حتى انكشاف بعض الجهل أو كل الجهل فقد يكون خير ما يعلمه الإنسان: أنه جاهل وهو أيضا شر ما يجهله جاهل».[1]

*كما أنه يقول: أن هذه النظرية ترى بأن نشأة اللغة الأولى لا تعدو أن تكون تقليدا للأصوات الطبيعية التي يسمعها الإنسان الأول.[2]

ويواصل قوله حتى يصل إلى «ومن الممكن اعتبار هذا الجانب من الكلمات بداية معقولة لنشأة اللغة».[3]

فهو إذن هنا رجح إمكانية أن تكون نشأة اللغة تقليدا للأصوات الطبيعية.

*إلا أنه رفض نظرية الاصطلاح والتواضع، وذلك بحسب قوله: « مثل هذا التخيل لا يمكن أن ينهض تفسير لتلك الظاهرة الإنسانية العامة شديدة التعقيد على حين يحمل هذا الخيال في طياته عناصر البساطة والسذاجة».[4]

(1) عبد الصبور شاهين: التطور اللغوي، ص: 6.

(2) عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ضارع سوريا، بناية صمدي وصالحة، ط6، 1993م، ص: 72.

(3) المرجع نفسه ص: 73.

(4) المرجع نفسه ص: 71.

ثانيا: نظريات نشأة اللغة:

عرضت مسألة أصل الإنسان التي ارتبطت بها ارتباطا نهائيا، بطرق متعددة عبر تاريخنا الفكري، أساطير قديمة أو دينيةن نظريات فلسفية، تخمينات تقريبا دون فائدة، حكايات تجارب الاحتمال تروّج لعدة قرون (بل ألاف السنين)، أعمال اللسانيين والأثربولوجيين و البيولوجيين لكننا فلّما نجد موضوعا نال اهتماما بهذه الدرجة من الثبات و الشغف. [1]

بل وأن العلماء والمفكرين لم يختلفوا في شيء من مسائل علم اللغة، كما اختلفوا حول موضوع نشأة اللغة، وقد تنوعت آرائهم، و اختلفت مذاهبهم ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كانت جل آرائهم تصطبغ بالصبغة الشخصية المبنية على الظن والحدس.[2]

وبالتالي فقد تعددت نظريات نشأة اللغة فهناك من العلماء من يراها توقيفية من عند الله، وهناك من يرى أنها تواضع اصطلاح ومنهم من يلحظها محاكاة للأصوات الطبيعية، ومنه فإن لكل عالم مذهبه الذي إحتدى به ودافع عنه ليثبت وجهة نظره فكيف نشأت اللغة؟

أ_ نظرية التوقيف:

إذ تفترض هذه النظرية أن اللغة نشأت نتيجة إلهام إلهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء. وأهم ما يعتمد عليه أصحاب هذا الرأي النصوص الدينية الواردة في القرآن الكريم وفي سفر التكوين، وهي نصوص في نظرنا ليست قاطعة وتقبل أكثر من تفسير. [3]

(1) د. نادية العمري: مسألة أصل اللغات مراجعة عبد القادر الفاسي الفهري، دار المدار الإسلامي، د.ط، ص: 35.

(2) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث الغوي، مكتبة الخاتجي للطباعة والنشر القاهرة، ط3، 1417هـ/ 1997م، ص: 109.

(3) د. أحمد مختار: أنا واللغة والمجتمع، مطبعة أبناء وهبة حسان القاهرة. ط1، 1422هـ/2002م، ص: 145.

وقد ذهب العرب مذاهب مختلفة في هذا الموضوع، وتشعبت تفسيراتهم وحججهم فيه، ولهم نصيب وافر في التعرض لمثل هذه الدراسات، فابن عباس (ت68 ه) يرى أنها نشأت توقيفا أي وحيا وإلهاما، محتجا بقوله تعالى:«وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا».[1] وأخذ بهذا الرأي جماعة من المفسرين والفقهاء أمثال حصيف ومجاهد وغيرها. كما أخد به من المتكلمين والأشاعرة، ومن الأصوليين ابن الحاجب وآخرون، ومن اللغويين ابن فارس، وأبو الفارسي وتلميذه ابن جني في أحد أقواله.[2]

وكان ابن عباس يقول في تفسير الآية الكريمة:« علمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذالك من الأمم وغيرها، وروى حصيف عن مجاهد قال: علمه كل شيء، وقال غيرهما: إنما علمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين».[3]

وقد دافع ابن فارس (395ه) عن مذهب ابن عباس، معتقدا بصحة تفسيره للآية الكريمة ، وبصواب رأيه في توقيف اللغة. [4]

كما أن أبو علي الفارسي(377ه) ذهب إلى هذا أيضا تلميذه ابن جني أنه قال:«هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه وتعالى(وعلم آدم الأسماء كلّها)».[5] وقد تردد ابن جني(392ه) في الأخذ بمذهب معين، إلا أنه كان يميل أحيانا إلى الأخذ بمذهب التوقيف

(1) سورة البقرة، الآية: 31.

(2) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ط، ص ص: 443-444.

(3) أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي- بيروت 1964م، ونشر المكتبة السلفية في القاهرة، 1328ه- 1910م، ص: 05.

(4) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب ، ص: 444.

(5) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب بالقاهرة، 1952م، ج1، ص: 40.

فقال: «و إنصاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل,فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من عند الله سبحانه وأنها وحي».[1]

كما نجد حسن ظاظا يقول في كتابه:« كما أن أصحاب هذه النظرية يستندون على أن اللغة من عند الله من خلال آراء المفكرين القدماء واستنادهم إلى آيات من الكتب المقدسة يفهم منها أن اللغة من عند الله ففي توراة موسى« وجبل الرّب من الأرض جميع حيوانات البرية وجميع طير السماء وأتى بها أدم ليرى ماذا يسميها، فكل ما سماه به أدم من نفس حية فهو اسمه»، وإن كنا نلاحظ من حرفية الآية السابقة أن الربّ الإله لم يفرض على أدم أسماء معينة بل تركه يسمي كل أضاف المخلوقات بأسماء تميزها من وضعه هو، وعلى كل حال فإن التوراة تقرر في الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر الآية الأولى ما نصه «وكانت الأرض كلها لغة واحدة» ثم يحاول نفس هذا الإصحاح إبتداءا من الآية الثانية أي يفسر لنا تعدد لغات البشر بعد ذلك».[2]

ولا نعدم بين دارسي اللغة المحدثين من أخد بهذا الرأي، كالأب الأمي في كتابه (فن الكلام) والفيلسوف دوبونالد في كتابه (التشريع القديم)، معتمدين على ما ورد في سفر التكوين مما يشعر ذلك.[2]

والواقع أن مذهب توقيف اللغة، بالرغم من أنه غير متقبل في العلم اللغوي الحديث لافتقاره الحجة العلمية المقنعة، ولمخالفته سنن التطور المنطقية، وطبيعة نشأة الظواهر الاجتماعية إلا أنه يحتمل الصدق فعندما ينظر إلى الآيتين الكريمتين« وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ

(1) ابن جني: الخصائص، ص: 41.

(2) د. حسين ظاظا: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1410هـ/1990م، ص: 47.

(3) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص: 445.

كُلَّهَا.....قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ».[1] يثبت أن اللغة توقيف ووحي من الله سبحانه وتعالى.

ب- نظرية الإصطلاح والتواضع: وهي التي حاولت تفسير نشأة اللغة بأنها مواضعة و اتفاقا بين الناطقين بها حيث كان ارتجال الألفاظ أساسا في بناء اللغة، وقد صور بن جني أيضا رأي أصحاب هذا الاتجاه في قوله: «كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا,فيتحاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا، وإذا ذكر عرف ما سماه، ليمتاز عن غيره، فكأنهم جاؤوا إلى واحد من بني آدم فأومئوا إليه فقالوا: إنسان... إنسان، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن، المراد به هذا الضرب من المخلوقّ، وإذا أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا: يد، ...عين...، قدم... أو نحو ذلك فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها، ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها: فنقول الذي اسمه (إنسان) فيجعل مكانه( )، والذي اسمه رأس فيجعل مكانه (سر) وعلى هذا بقية الكلام... وعلى هذا ما تشاهده الآن من اختراعات الضياع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ ولكن لابد لأولها من أن يكون متواضعا بالمشاهدة والإيماء.

مثل هذا التخيل لا يمكن أن ينهض تفسير لتلك الظاهرة الإنسانية العامة شديدة التعقيد على حين يحمل هذا الخيال في طياته عناصر البساطة والسذاجة.[2]

ومما بدا أن أول من بدا أن أول من أشار إلى هذا المذهب و أخد به هو أبو الحسن الأخفش (ت 211 هـ) و رأى أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد وإنما لم تلاحق وضعها وتتابع.[3]

(1) سورة البقرة: الآيتين: 30-32.

(2) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ص: 71.

(3) السيوطي: اقتراح تصحيح عبد الرحمان بن يحي، دائرة المعارف العثمانية، بحيدرة، 1359هـ ص: 08.

وقال شارحا رأيه: « اختلاف لغات العرب إنما جاء من قبل إن أول ما وضع منها وضع على خلاف وإن كان كله مسبوقا على صحة وقياس، ثم أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة إليها غير أنها قياس ما كان وضع في الأصل مختلفا».[1]

وراق هذا المذهب للابن جني (392هـ) الذي مر أنه مال إلى التوقيف، فعاد هنا للميل إلى التواضع فعلى الرغم من أن وارد الأخبار والمأثور يقوى عنده من عند الله: «غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف».[2]

وقد مال إلى مذهب التواضع أيضا ابن خلدون وممن دعا كذلك إلى هذا المذهب في العصر الحديث: أدم سميت، ودو جلد ستيوارت من المغربين وجرجي زيدان من العرب.[3]

ومن هذا فنظرية التواضع هي أيضا مفتقرة إلى سند عقلي وعلمي وتاريخي معتمد وهي فيما تقرره تعارض القوانين العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية فهذه النظم لا تخلق من العدم بل تتدرج شيئا فشيئا من تلقاء نفسها حتى تسوى نظاما ناضجا متكاملا، وبالتالي فعندما يتفاهم المتواضعون على تسمية شئ فيجب أن يتفاهموا على لغة صوتية، فهذا يتطلب لغة إذن كيف نشأت هذه اللغة التي تواضعوا بها في وضع المصطلحات والأسماء.

ج- نظرية محاكاة الأصوات الطبيعية: تقرر أن اللغة الإنسانية أول ما أنشئت تقليد الأصوات موجودة في الطبيعة مثل أصوات الحيوان، وأصوات مظاهر الطبيعة مثل دوي الريح وقصف الرعد وخرير الماء وحفيف الأشجار، وما يحدث من صوت عند الضرب والكسر والقطع... وسارت في سبيل الرقي شيئا فشيئا تبعا لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة، واتساع نطاق الحياة الاجتماعية، وتعدد حاجات الإنسان... وكان الإنسان يستخدم

(1) السيوطي: اقتراح تصحيح عبد الرحمان بن يحي، ص: 08.

(2) ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 40.

(3) محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص: 446.

عوامل أخرى مساعدة في أول أمره ليعوض قصور لغته مثل: الإشارات اليدوية والحركات الجسمية.[1]

والراجع أن الخليل (ت175هـ) هو أول من تنبه إلى ذلك و أشار إليه دون أن يصح بأنه مذهب في تفسير نشأة اللغة كان مائلا لديه، ولكننا نلمع من خلال معالجته لبعض الألفاظ من حيث المناسبة الطبيعية بينها وبين مدلولاتها وهذا ما يؤكد أنه كان يرى هذا الرأي فقوله في نون التوكيد كما جاء في كتاب سيبويه «فإذا جئت بالحقيقة فأنت مؤكد وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيدا».[2]

كما عرض لهذا المذهب الرافعي إذ يقول: « وأقرب ما يصح في الظن أن الأصوات الحيوانية هي المثال المتّحدي في لغة الإنسان، لأنها محيطة به تتقلب على سمع، خصوصا والإنسان في أول اجتماعه مضطر لمغالبة الحيوان، فهو بهذا الاضطرار يتدبر اختلاف هيئات الصوت الواحد ومعاني ما فيه من النبر».[3] ودليله في ذلك أفعال الحيوان التي تؤدي معاني هذا الاختلاف من نحو الغضب و الألم و الذعر وغيرها.... وهذه الحالة كانت بدء اختراع اللغة.

وهذا المذهب أيده أغلب الدارسين للغة، لما وجدوه من مجانسته لقوانين التطور اللغوي وابتنائه على أسس المنطق العلمي، ولما قدم لهم البحث من أدلة لغوية وتاريخية تدعم هذا الرأي وكان على رأس الذاهبين إليه لمن الغربيين وتني ومن العرب مصطفى صادق الرفاعي وعلي عبد الواحد وافي.[4]

(1) أحمد مختار عمر: أنا واللغة والمجتمع، ص: 145.

(2) سيبويه الكتاب: المطبعة الكبرى الأميرية بيولاق، 1316هـ، ج1، ص: 149.

(3) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1940م، ج1، ص: 48.

(4) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص: 449.

إن هذه النظرية قريبة إلى الصواب فمثلا الطفل الصغير في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام نجده يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة الأصوات الطبيعية التي يسمعها غير أن هذه النظرية لاقت من النقد ما لقت فالنقاد وصفوها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات, وتجعل اللغة الإنسانية الراقبة مقصورة النشأة على تلك الأصوات الفطرية الغريزية.

وهذه النظرية ترى بأن نشأن اللغة الأولى لا تعدوا أن تكون تقليدا للأصوات الطبيعية التي سمعها الإنسان الأول.[3]

(1) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة بيروت شارع سوريا، ببناية صمدي وصالحة، ط1، 1413هـ- 1993م، ص: 72.

خلاصة:

من خلال ما سبق يتبين أن موضوع نشأة اللغة أسال إذ أنه لم يختلف العلماء في مسألة من مسائل اللغة مثل اختلافهم حول نشأتها، ولم يحظى موضوع من موضوعاتها في تاريخ الفكر الإنساني بقدر من الاهتمام مثلما حظي موضوع نشأتها وأصالتها، ففي كل العصور وعلى امتداد الحضارات القديمة في مصر وبابل الهند و الصين واليونان والرمان ثم في العصور الوسطى، إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، ثم أثناء عصور الظلام في أوروبا وعصر النهضة بعدها كان الفلاسفة وعلماء اللغة ورجال الدين والمفكرين منشغلين بفكرة البحث عن أصل اللغة الإنسانية كيف نشأت؟ ومن أين جاء الإنسان بهذه القدرة على الكلام؟ وقد تعددت الآراء و اختلفت ولم يتوصل إلى الإجابة عن هذه الأسئلة المطروحة ويبقى التساؤل قائم وعلم ذلك عند الله تعالى كما قال الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه: «التطور اللغوي" متى كانت هذه اللغة الإنسانية؟ علم ذلك عند الله وحده».

الفصل الثـــالث

القيمة العلمية للكتاب

- أولا: نوعية المدونة في الفكر الاسلامي ومجتمع المعرفة
- ثانيا: أراء العلماء في الكتاب « أبي آدم».
- ثالثا: أشهر القضايا التي أعجبتنا في الكتاب.

أولا: نوعية المدونة في الفكر الإسلامي ومجتمع المعرفة:

1/ فكرة الخلق: وهي إعادة النظر في الخلق حيث يرى بعض العلماء أن هناك بشر قبل آدم وهذا ما سنعرفه في كتاب "أبي آدم" أهو صحيح أم خطأ.

***نظرة القدماء إلى وجود الخليقة:**إذا كان علماء السلف قد اتفق جمهورهم على أن آدم هو أول الخليقة وأول ما خلق من تراب، لكن بعضهم آخر قد ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فتصوروا لهذه الخليقة وجود ممتد في أعماق الزمان إلى آدم، ربما إلى ملايين السنين، ولكن لا نحسبهم قد اعتمدوا على شواهد مادية بل إلى محض تخيلات هداهم إليها تأملهم المنطقي في أحوال الدنيا، وقد ذكر "المسعودي" في كتابه عن بعض العلماء (أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات الأجنحة وكلامهم فرقعة، ومنهم ما لهم أبدان كالأسود، ومنهم ما له وجهان، ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة، وهذه صور من تفكير الأقدمين لا دليل على أنها وجدت إلا في الاحتمال الخيالي)[1]، ومن المؤكد أن أمما كثيرة من المخلوقات كانت موجودة قبل ظهور الإنسان كأمم الطير والحيوان والنبات وهي كلها أمم ينص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ....».[2]

***إعلام الملائكة بخلق البشر:** قال تعالى: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا» وهنا نستدل بأن على هذا الكون عالما أخر ألطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقة بنظامه وأحكامه.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: .

(2)سورةالأنعام، الآية: 28.

* خلق البشر من طين: قد أعلم الله سبحانه وتعالى الملائكة أنه خالق بشر من طين لقوله تعالى: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينْ»[1]، فالبشر هو تسمية لذلك المخلوق الذي أبدعه الله سبحانه وتعالى من الطين وهو يعني الظهور مع حسن وجمال.

لم يكن أحد من الجن أو الملائكة يعلم شيئا عن سر ذلك المخلوق البشري، أو عما سيؤول إليه أمره، ذلك كله كان غيبا في علم الله وحده كما زودته تلك القدرة العظمى بعوامل التألق حتى صار البشر الغشيم إنسانا صالحا للتكيف وحمل الأمانة الإلهية، وكل ذلك الفرق الهائل بين البشر والإنسان يشير إليه الاستعمال القرآني.[2]

ويتضح لنا مما سبق أن الإنسان المقصود به التكيف الديني وأن البشر هم طلائع الخليقة لا مكان لهم في عالمنا لأنهم بادوا ودرست آثارهم، ولم تبق منهم سوى أحاديث وأحافيل تدل على أنهم كانوا موجودين منذ عصور جيولوجية، فلما قضيت إرادة الله بإيجاد هذا الخلق الإنساني قد خلق آدم وهو مستوى خاص جدا من البشر ، كل ثمرة من ثمرات النفخة الإلهية التي أتم الله بها خلقه وهيأه ليعيش في ضوء المعايير الدينية التي أرسل بها الأنبياء منذ آدم إلى محمد عليه جميعا أفضل الصلاة والسلام وذلك قوله تعالى: «إِنَّ الله اصْطَفَى آدَم وَنُوح وآل إِبْرَاهِيم وَآل عِمْرَان عَلَى العَالَمِين»[3]، ومقتضى ذلك أن النوع البشري قد انقرض ليحل محله رتبة أرقى هي رتبة الإنسان باعتبارها الطور الحسن من أطوار البشر والجيل المختار للسيرة الجديدة عن طريق التوحيد ومعرفة الله ثم أطلق عليه أفراد هذه الرتبة بنو آدم، ونجد في القرآن دليلا قاطعا على صحة هذا المذهب حيث نجده مهتما بالإنسان

(1) سورةص، الآية: 71 .

(2)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 94.

(3)آل عمران، الآية: 22.

متابعا لوصف كل أحواله في ثلاثة وثلاثين موصفا في حين لم يذكر (البشر) بوصف واحد.[4]

لقد استغرقت هذه الملحمة ملايين السنين ولكنها مرت ظلاما من ظلام أو غيباً في غيب حتى أذن الله للصبح أن ينبلج، فأشرق الإنسان من سلالة البشر واكتمل الخلق وجاء آدم.[1]

أما الطين جاء في مواضع مختلفة بهذا اللفظ، والمقصود به إجمالا (تراب + ماء) وقد بادر النص القرآني إلى ذكر (الماء) أصلا لخلق البشر.[2]

فخلق البشر كان من معدن الأرض كما قال تعالى: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ».[3]

وهنا لا يفوتنا الإشارة إلى أن الماء قد يقصد به ما يخلط بالتراب ليصير طينا وقد يقصد به الماء المهين الذي يبدو في ظاهره لا علاقة له بالطين.

***الخلق النفسي:**ويقصد به خلق الإنسان من نفس واحدة وقد ذكر الله عز وجل ذلك في قوله تعالى: «هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ.....»[4]الآية الكريمة تقرر وحدة الأصل الإنساني غير أن خلق زوج آدم من نفسه مشكل، هل حواء من ضلع آدم كما وردت بذلك آثار؟ أم أن حواء خلقت خلقا مستقلا كما هو شأن آدم؟ ويعتبر الاحتمال الأخير هو الأرجح لأمرين هما:

(4)عبد الصبور شاهين: المرجع نفسه، ص: 115.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 122.

(2)المرجع نفسه، ص: 77.

(3)سورة النجم، الآية: 22.

(4)سورة الأعراف، الآية: 189.

1) أن الكثير من العلماء اعتبروا مسألة الضلع مجرد المرأة وفطرتها.

2) أن خلق حواء من نفس آدم مؤول على أنها من نوعه وجنسه وقد جاء ذلك بالنسبة إلى كل زوج في قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا».[5]

* **البشر والإنسان:** إن القرآن الكريم قد ذكر خلق البشر في أربع آيات ولكنه ذكر خلق الإنسان في خمس وثلاثين آية، فقبل التسوية لم يكن المخلوق البشري إنسانا بل كان بداية خلق الإنسان في خير القوة، قبل أن يكون إنسانا في خير الفعل.[1]

ثانيا: آراء العلماء في الكتاب (أبي آدم):

1/ تقرير برأي اللجنة العلمية التي شكلها مجمع البحوث الإسلامية للنظر في هذا الكتاب.

2/ لقد اختار المؤلف لدراسته موضوعا دقيقا يصعب على الباحث أن يصل إلى رأي قاطع، وقول فصل، يوافق عليه سائر الباحثين وهو موضوع بدأ خلق الإنسان ومكان آدم عليه السلام في سلسلة الخلق الإلهي وما كان قبله، وما كان بعده.... وذلك أن مشهد خلق الإنسان بعيد الغور في أعماق التاريخ وقد وقع قبل عهد التدريس والتوثيق والنصوص القرآنية في شأنه لا تعالج التفاصيل التي تبين كيفية الخلق، كما أنها لا تحدد المسافات الزمنية التي أحاطت بمراحل الخلق، لذلك لا يمكن لباحث قديم أو حديث أن يقطع فيه برأي حاسم.[1]

أما المنهج الذي اتبعه المؤلف فقد وصفه إجمالا في مقدمة الكتاب، حيث حدد هدفه من بحثه بأنه محاولة لفهم النصوص التي جاءت في القرآن الكريم وهي قطعية، تروي وقائع

(5)سورة الروم، الآية: 21.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 93.

(2)المرجع نفسه، ص: 195.

قصة الخلق وأيضا للتوفيق بين التصوير القرآني والاتجاه العلمي في تصوير الحياة البشرية على هده الأرض،ولا حرج علينا في هدا ما دمنا نرحي قداسة النصوص المنزلة،ومادمنا لانخالف معلومات من الدين وما دمنا نقدم رؤية عقلية تحترم المنطق وتستنطق اللغة من جديد ودعم إيمان المسلمين المؤمنين بما ينطوي عليه كتاب الله من أسرار قد تكونحضيتعن بصائر دوي التميز،ثم ادن الله سبحانه لبعض السر أن ينكشف وللرؤية أن تتجلى.[1]

وترى اللجنة أن هذا المنهج سليم لا عوج فيه ولا مأخذ عليه، أنه هو عين المنهج الذي سار عليه علماء الأمة عبر العصور لرفع التناقص الموهم بين العلم والدين،وقد بدلو في ذلك جهدا كبيرا لم ينكرها عليهم أحد،بل عدوها جهادا علميا محمودا يؤجر عليه أصحابه، كما وجدوا فيها نفعا كبيرا وفائدة محققة.[2]

وكما ترى اللجنة كذلك أن ما كتبه المؤلف ليس محاولة التوقيف بين العلم والدين بقدر ما ترى فيه اجتهاد منه في فهم النص القرآن، وهو اجتهاد لا توافق اللجنة المؤلف على بعض أجزائه، حيث لا يكفي ما ساقه في هذا التدليل ليقرر النتائج التي انتهى إليها، وإذا كانت اللجنة قد حددت مهمتها على ما سبق بأنها بيان ما إذا كان المؤلف قد تجاوز الحد في تأويلاته للنصوص القرآنية...تجاوزا يخالف به ثوابت الحقيقة أو يتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ،فأن الذي تنتهي إليه اللجنةأن المؤلف لم يفتح في مثل تلك المخالفةوان كان ذلك لا يعني أن اللجنة تقره على كثير من التأويلات التي أول بها بعض آيات القران الكريم.

والأحاديث النبوية،وعلى الأخص ما أشارإليه من أن ادم –عليه السلام يمكن أن يكون خلق من أبوين، وما انتهى إليه في شأن العلاقة بين البشر والإنسان، كما أنها لا تقره على

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 196.

(2)المرجع نفسه، ص: 197.

بعض التعبيرات التي استخدمها في سياق تدليله والتي ترى اللجنة أنها غير لائقة في وصف المشيئة الإلهية في أمر الخلق.[3]

وتود اللجنة في ختام تقريرها أن تنبه غلى أمور ثلاثة:

1/ أن مجمع البحوث الإسلامية لا يحجز على اجتهاد المجتهدين أو فكر المفكرين، إذ هو مجمع البحث العلمي الاجتهاد ويحرص على ضبط مناهجه.

2/ يؤمن المجمع بحاجة هذا الجيل من المسلمين إلى متابعة الاجتهاد وتقليب النظر في الآفاق وفي الأنفس وإلى مواكبة التطورات العلمية الهائلة التي غيرت معيشة الناس وأوضاعهم خلال القرن التي توشك الإنسانية أن تودعه.

3/ يوحي المجمع الباحثين دون حجز على خزينتهم في اختيار ما يبحثون أمره وما يكتبون فيه أن يلاحظوا حاجة الأمة إلى علم العلماء واجتهاد المجتهدين لواجهة المشاكل الكبرى التي تواجه المسلمين.[1]

***أشهر قضية أعجبتني في هذا الكتاب هي أن:**

العقل المسلم المعاصر ابتلى من قبل مدرستين لهما وجود على الساحة، ولهما ضجيج مزعج وقد آن الأوان لإخماد هذا الضجيج، إن الأولى تدعى المدرسة الخرافية التي تتبنى الحكايات والإسرائيليات أما الثانية فهي المدرسة الحرفية والتي تتشبث بالمأثور حتى ولو كان خرافيا وهي المدرسة التي ترفع السيف في وجه أي اجتهاد ولا مناص إذا أردنا للإسلام أن يتبوأ مكانة عالم الغد أن يتم على هاتين المدرستين لأنهما يعيقا حركة الاجتهادالإسلامي المعاصر بإشاعة الخوف في نفوس أصحاب الرأي والاجتهاد، لكن الإسلام يشجع على

(3)المرجع نفسه، ص: 202.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 203.

الاجتهاد، ويعد كل مجتهد بالأجر، ما دام لا يخالف ثابتا من ثوابت العقيدة، وما دام لا ينكر معلوما من الدين بالضرورة، فلنجتهد ولتذهب الخرافية والحرفية.[2]

ويعد هذا الجوهر من إصدار هذا الكتاب ولقد حقق بصدوره نتيجة قيمة حين نشط بعض الكتابين للرد عليه وكتبوا مقالات، وهو أثر من آثار الكتاب، فلو لم يصدر هذا الكتاب لما كتبوا فليحمدوا الله على ظهوره.[1]

***أشهر القضايا التي أعجبتنا:**

* إن الكتاب تجربة جديدة لمحاولة فهم قصة اختلطت فيها الحقائق والأساطير والكثير من التفاسير القديمة.

*فتح باب الاجتهاد الذي به يتجدد الفكر الإسلامي تجددا يأخذ بعين الاعتبار مختلف الحيثيات والمكونات التاريخية والسياقية والثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

*موازنته لمصطلح بشر وإنسان من خلال قوله« حقيقة لا ريب فيها هي أن بني البشر والإنسان عموما وخصوصا مطلق(فالبشر) لفظ عام في كل مخلوق ظهر على سطح الأرض، يسير على قدمين، منتصب القامة و(الإنسان) لفظ خاص بكل من كان من البشرمكلف بمعرفة الله وعبادته، فكل إنسان بشر وليس كل بشر إنسان».[2]

وهكذا فإن الإنسان لا يطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه السلام وآدم –على هذا– هو (أبو الإنسان) وليس (أبو البشر) ولا علاقة بين آدم والبشر اللذين بادوا قبله.[3]

(2)المرجع نفسه، ص: 23.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 23.

(2)المرجع نفسه، ص: 103.

(3)المرجع نفسه، ص: 204.

* تنقية الفكر الإسلامي مما علق من الإسرائيليات التي صارت توجه العديد من المفاهيم وحقائقه وأحداثه وذلك من خلال رد التفسير الذي تتبناه الإسرائيليات لقصة الخلق سواء أتعلق الأمر بكيفية خلق الإنسان وتسويته أو بالمراحل التي مر بها هذا الخلق فالنص القرآني يشير إشارات عامة إلى كيفية الخلق، يفهمها كل جيل حسب إمكانيته اللغوية والعقلية، بعيدا عما تنقله الإسرائيليات من تفسيرات تتعارض مع القرآن الكريم في أمور عدة.[1]

* الرؤية الجديدة والبديلة لحقيقة بداية الخلق، من خلال النص القرآني وعلى ضوء آخر ما اكتشفه العلم الحديث حيث أن تفويض العلم العلم الحديث لنظرية التطور كما طرحها داروين والتي ظلت قرون طويلة ما .... تلقن الإنسان المعاصر أنه ينحدر من سلالة القردة، إلا أن الاكتشاف الجديد الذي تم في كينيا يظهر حسب رأي العالم الأشربولوجيا (ريتشاريكي)، «أن المخلوق الإنساني المنتصب ذا الساقين لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه القرد بل كان يعاصره منذ أكثر من مليونين ونصن مليون عام وأنه يمكن على هذا الاعتبار استبعاد المخلوق البدائي الأول على أساس أن الإنسان انحدر من سلالته».[2]

هذا الكتاب دفعنا إلى الانفتاح على ما توصل البحث العلمي والاستفادة من نتائجه في فهم مختلف قضايا التاريخ الإسلامي والإنساني على حد سواء.

بالإضافة إلى تضارب آراء العلماء وأقوالهم حول بداية الإنسان الأول على سطح الكرة الأرضية لا يتم عن تناقض ما، بقدر ما هو مؤشر على تطور العلم وتجدده، إذ يرتبط ظهور أقدم إنسان على وجه الأرض بآخر ما اكتشفه العلماء من هياكل عظمية لا سيما أن كل اكتشاف يطرح تقديرا زمنيا جديدا.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 28.

(2)المرجع نفسه، ص: 41.

وأشار العلماء إلى أنهم أخذوا أحجام الإنسان القديم و مقاساته من هيكل كائن شبيه بالإنسان، وهذا المعروف باسم لوسـي[3]وتبقى آراء العلماء متضاربة حيث أن هذا الكتاب جعلهم يتنافسون فيما بينهم حول الوصول إلى بداية الإنسان الأول مما دفعهم إلى اكتشافات جديدة.

ثالثا: أشهر القضايا التي أعجبتنا في الكتاب:

في الحقيقة أن الفكرة التي يحملها الكتاب مثيرة للجدل فقد سلمنا لفترة طويلة من الزمن بأن آدم هو أبو البشر وأنه بلا أب ولا أم وقد حيلنا على هذه المسلمة، ولكن في هذا الكتاب رأيت أن للدكتور عبد الصبور شاهين رأي آخر إذ يرى بأن آدم عليه السلام هو امتداد لسلالة بشرية ضاربة في القدم ولكنها لم تكن تملك العقل ولم ينفخ الله سبحانه وتعالى فيها من روحه وأن هذه الفصيلة البشرية أخدت تتطور مع مرور الزمن حتىاكتمل تطورها فبدأ خلق آخر وهو الإنسان، الذي هو امتداد لفصيلة البشر ولكنه يختلف عنها بأنه يملك العقل وأن الله اصطفاه من بين بقية البشر ونفخ فيه من روحه وحمله الأمانة واستخلفه في الأرض وهذا الرأي بحسب نظري مخالف للعقيدة الإسلامية.

وقد أعجبتني قضية واحدة في هذا الكتاب هي نقده لنظرية داروين حيث يقول «يمكننا القول أن نظرية داروين قد صارت لكثرة ما تعرضت له من نقد مجرد مقولة هشة لا تعني شيء في مجال البحث عن أصل الإنسان».[1]

كما أعجبني قوله « لقد سقطت فكرة (تطور الخلق)، ونقول (فكرة) ولا نقول (نظرية)، ورغم أن الناس قد فتنوا بهذه النظرية لعدة عقود من الزمن.... سقطت بكل ما ارتبط بها من أفكار أخرى، وانتصرت حقيقة الخلق المستقل التي قررها الدين، كما أكدها العلم، فما كان

(3)المرجع نفسه، ص: 44.

(1)عبد الصبور شاهين: أبي آدم: قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، ص: 42.

الإنسان إلا بشرا منذ كان، وما كان القرد إلا قردا، وما كانت السمكة إلا سمكة في عالمها المائي، وكل ذلك لم يكن إلا طبقا للمشيئة الإلهية المطلقة».[2]

(2)المرجع نفسه، ص: 46.

خـــــاتمـــــة

خـــاتمة:

ويتسنى لنا في نهاية المطاف الوقوف على أهم النقاط المتعلقة بموضوع دراستنا ألا وهو نشأة اللغة من منظور عبد الصبور شاهين قراءة في كتاب أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة و الحقيقة فاللغة من أعظم ما ميز بها الله تعالى خلقه و كرمه بها، وتعد من أبرز الظواهر التي استأثرت بعناية الباحثين والمفكرين والفلاسفة من أقدم العصور فبحثوا في نشأتها وطبيعتها ولم يحظ أي موضوع من موضوعات اللغة في تاريخ الفكر الإنساني بقدر من العناية والتفكير مثلما حظي موضوع نشأة اللغة، ونحن في مذكرتنا هذه فقد خصصنا بالذكر نشأة اللغة عند عبد الصبور شاهين ويعد مفكر مصري، الذي نظر في أصل اللغة، هي توقيفية أي من عند الله سبحانه وتعالى أم هي اصطلاحية أي تواضع عليها العلماء، أم هي محاكاة للطبيعة، أما ما تعلق بالكتاب "أبي آدم " فقد أثار بلبلة بين الناس وقد أحدث من الدوي ما يحدثه سقوط صخرة ضخمة و تصدوا للكتاب و لمؤلفه ظانين أن بوسعهم أن يخفقوا صوته و يخفوا أثره بالتشويح والتجريح وقد علم صاحب الكتاب أنهم لم يكونوا يملكون فكرا قادرا على إستعاب مضمون الكتاب، ولكن المجمع الإسلامي قرر بأن الكتاب لا يحتوي على ما يخالف القرآن الكريم أو السنة النبوية ولا ينكر معلوما من الدين بالضرورة أو ثابتا من ثوابت العقيدة وإنما هو اجتهاد من صاحب الكتاب ولكن المجتمع قد اختلف معه في بعض النتائج التي توصل إليها ولكنه لم ينفي الاجتهاد بل يشجع عليه.

وأخيرا تجدر الإشارة إلى التذكير أن عملنا هذا هو اجتهاد لا يخلوا من النقائص, حيث يبق المجال مفتوح لتناول هذا الموضوع و نأمل أن تهتم الدراسات ببحث جديد يكون أكثر صدق وموضوعية.

وما توفيقنا إلاّ بالله عز وجل فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1_ المصادر:

القرآن الكريم

2_ المراجع:

1_ابراهيم مصطفى و أحمد حسن الزيان, المعجم الوسيط,مكتبة الشروق الدولية ج2.

2_ ابن منظور الإفريقي. لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر بيروت ط5.

3_ أبو الفتح عثمان إبن جني، الخصائص ، الهيئة المصرية للكتاب ط4

4_ أبو منصور ابن الأزهري: تهذيب اللغة. تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1.

5_ أحمد ابن فرس. الصحابي في فقه اللغة: تحقيق مصطفى الشديمي بيروت 1964م ونشر المكتبة السلفية في القاهرة 1910م

6_ أحمد مختار: أنا و اللغة والمجتمع, مطبعة أبناء وهبة حسان القاهرة ط1

7_ أحمد مومن, اللسانيات النشأة و التطور. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط4

8_ السيوطي. الإفتراح. تصحيح عبد الرحمان بن يحي دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد 1359هـ.

9_ أنسي محمد, أحمد قاسم مقدمة في سيكولوجية اللغة مركز الإسكندرية للكتاب مصر 2000م.

10_ تمام حسن: اللغة العربية معناها ومبناها, دار الثقافة , دار البيضاء . المغرب ط 1994م.

11_ حسن ظاظا, اللسان و الإنسان مدخل إلى المعرفة اللغة, الدار الشامية , بيروت دار القلم دمشق ط2 1990م.

12_ رمضان عبد التواب. المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي, مكتبة الخاتجي للطباعة و النشر القاهرة ط3 .1997م f

13_سيبويه ،الكتاب ،المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق 1316هـ ج1

14_عبد الصبور شاهين :أبي آدم :قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ,دار أخبار اليوم قطاع الثقافة الجمهورية مصر العربية 1998م د.ط

15_عبد الصبور شاهين :التطور اللغوي ,مؤسسة الرسالة بيروت شارع سوريا بناية صمدي وصالحة ط 2 ,1958م

16_عبد الصبور شاهين :علم اللغة العام مؤسسة الرسالة بيرت شارع سوريا بناية صمدي وصالحة ط6 1993م

17_محمد حسين آل ياسين ,الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثاث منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ,لبنان دط

18_مصطفى صادق الرافعي ,تاريخ آداب العرب ,مطبعة الإستقامة بالقاهرة 1940م ج1

19_نادية العمري ,مسألة أصل اللغات ,مراجعة عبد القادر الفاسي الأري دار المدار الإسلامي د.ط

4_الروابط الإلكترونية :

_الموسوعة التاريخية :w.w.w./khwaniwiki .com. indexيوم 8فبراير 2016م على الساعة:H 21,18

_ويكبيديا الإخوان المسلمين ,الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين يوم 8 فبراير 2016م على الساعة :H20,05

ويكبيديا الإخوان المسلمين : HTTPS :/ AR ;M ;WIKIPEDIA ;ORG<WIKI>
يوم 22مارس 2016م على الساعة H11.48

3_مجلات:

- أحمد مومن السانيات النشأة والتطور .ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط4
- محمد حسين آل ياسين, الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث منشورات دار مكتبة الحياة بيروت البنان.ط.

فهرس الموضوعات

فهـرس الموضوعـات:

فهرس الموضوعات	الصفحة
الفهرس	
مقدمة	
مدخل	
الفصل الأول: مفهوم اللغة بين علماء العرب اللسانيين والمحدثين الغربيين – أولا: مفهوم اللغة لغة واصطلاحا – ثانيا: مفهوم اللغة عند أبو الفتح عثمان بن جني. – ثالثا: مفهوم اللغة عند تمام حسان. – رابعا/ مفهوم اللغة عند دوسوسير فرديناند. – خامسا: مفهوم اللغة عند تشومسكي ناعوم. – خلاصة الفصل.	
الفصل الثاني: نشأة اللغة عند عبد الصبور شاهين وبعض اللغويين الآخرين – أولا: مفهوم اللغة ونشأتها عند عبد الصبور شاهين. – ثانيا: نظريات نشأة اللغة: أ_ نظرية التوقيف. ب_ نظرية الإصلاح و التواضع. ج_ نظرية محاكاة الأصوات. – خلاصة الفصل.	

الفصل الثالث: القيمة العلمية للكتاب. – أولا: نوعية المدونة في الفكر الإسلامي ومجتمع المعرفة – ثانيا: أراء العلماء في الكتاب « أبي آدم». – ثالثا: أشهر القضايا التي أعجبتنا في الكتاب.	
خاتمة	
المصادر والمراجع	